

مهارات القراءة

الشّيخ أحمد السّيّد.



الفهرس

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، وصلّ اللّهم وسلّم وبارك على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. مرحبًا بكم أيّها الإخوة والأخوات في هذا اللّقاء، الّذي أسأله سبحانه وتعالى أن يكون لقاءًا مباركًا ونافعًا.

عناصر المادّة:

عندنا عناصر الموضوع، وهي عناصرٌ ربّما تحتاج أو تتطلّب وقتًا طويلًا؛ ولذلك سأحاول أن أسدّ الفجوات الّتي يمكن أن تكون بين العناصر.

المحور الأوّل: الشّغف بالكتب وبالقراءة والطّلب، وقَصصٌ في الحبّ للكتب والعلم.

المحور الثّاني: نماذجٌ فريدةٌ في استغلال الوقت بالقراءة على مختلف الأحوال، وإدراك قيمته وأهميّته وملئِه بالعلم.

المحور الثّالث –وهو المحور الأساسيّ–: قواعد ومهارات القراءة، وسنتحدّث عن عشرين قاعدةً ومهارةً من مهارات القراءة بإذن الله تعالى.

المحور الرّابع: قواعد في تلخيص الكتب.

المحور الخامس: مشكلة نسيان المقروء وحلّها.

المحور السّادس: مشكلة الملل من القراءة.

المحور السّابع: تكرار قراءة الكتب، نماذجٌ فريدةٌ.

المحور الثّامن: قراءة الكتب الكبيرة في أزمنةٍ يسيرةٍ، قَصصٌ ونماذجٌ.

المحور التّاسع: المداومة على القراءة وعدم الانقطاع، نماذجٌ فريدةٌ.

المحور الأول: الشغف بالكتب والقراءة والطّلب، وقصص في الحبّ مع الكتب والعلم.

هذا الفصل والذي يليه يمكن أن يُفرد بمحاضرات، سلسلة قصصيّة، نماذج رهيبة وأنت تقرأ للمتقدّمين: كيف كانوا يتعاملون مع الكتاب ويحبّونه، ويعيشون في أكناف هذه الأوراق، ويستشعرون أنّهم لا يتعاملون مع مجرّد أوراقٍ وألوانٍ سوداءَ مسطورةٍ على هذه الأوراق، وإنّما يتعاملون مع روحٍ؛ فالشّخصُ منهم عندما يكون جالسًا مع الكتب، يُفكّر بأنّه جالسٌ مع الصّحابة والتّابعين والعلماء، فهذه الرّوح في التّفكير: أنّه أنا لست مع كتابٍ، لست مع أوراقٍ بيضاء أو صفراء وأحرفٍ سوداء، وإنّما أنا أعيش مع عقولٍ ومع أفهامٍ سُطّرت في هذه الكتب.

- أستفتح هذا المحور بعبارةٍ جميلةٍ **للجاحظ** أحبّ أن أكرّرها، والجاحظ هو من أمثلة العلماء المعتنين بالقراءة عنايةً كبيرةً، ويظهر هذا في كتبه بدون شكّ؛ كتبه متنوّعة، الجاحظ يقول في كتابه الحيوان: "من لم تكن نفقته الّتي تُخرَج في الكتب ألذّ عنده من إنفاق عشّاق القيان -المغنّيات- والمستهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغًا رضيًّا -أي من لم يستمتع وهو ينفق في شراء الكتب كما يستمتع أهل الشّهوات؛ فهذا لم يبلغ في العلم مبلغًا رضيًّا-، وليس ينتفع بإنفاقه حتّى يُؤثِر اتّخاذ الكتب إيثار الأعرابيّ فرسه باللّبن على عياله، وحتّى يُؤَمِّل في العلم ما يُؤَمِّلُ الأعرابيّ في فرسه"، هذا تشبيهٌ من أرض الواقع العربيّ، معروف في العرب إلى اليوم، عندنا بعض رعاة الإبل وملّاك الإبل أحيانًا تقول عنهم: والله يحبّ البعير أكثر من عياله.

- **ابن عبد الهادي** -تلميذ ابن تيمية- يقول في كتابه (طبقات علماء الحديث) ومختصر طبقات علماء الحديث، عن **ابن تيمية** يقول: "لا تكادُ نفسه تشبع من العلم، ولا تَروى من المطالعة، ولا تملّ من الاشتغال، ولا تكلُّ من البحث، وقلَّ أن يدخل في علمٍ من العلوم في بابٍ من أبوابه إلّا يُفتح له من ذلك الباب أبوابٌ، ويستدرك أشياءً في ذلك العلم على حُذّاقِ أهله"؛ الحرص، الهمّة، العزيمة، أدخل باب علمٍ أُبدع فيه، هذا كلّه من الشّغف والملازمة.

- علاقة حبٍّ بين القرّاء -عشّاق الكتب- وبين الكتب، هذا نموذجٌ يذكره **ابن القيّم** في (روضة المحبّين) عن شيخه **ابن تيمية**، يقول: حدّثني شيخنا ابن تيمية قال: "ابتدأني مرضٌ، فقال لي الطّبيب:

إنّ مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النّفس إذا فرحت وسُرَّت وقويت الطّبيعة دفعت المرض؟ فقال الطّبيب: بلى، قلت له: فإنّ نفسي تُسَرّ بالعلم فتقوى به الطّبيعة فأجد راحةً، فقال: هذا خارجٌ عن علاجنا". فالقضيّة قضيّة حبٍّ وعشقٍ.

- أيضًا، **ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام**، أبوه فقيهٌ حنبليٌّ، وجدّه أفخر من أبيه أي أكثر شهرةً، له كتب: (المنتقى)، واشترك هو وابنه وحفيده في كتاب (المسوّدة في أصول الفقه)، يقول ابن القيّم في (روضة المحبّين): حدّثني أخو شيخنا -أخو ابن تيمية- يقول: عن أبي عبد الحليم قال: كان الجدّ -جدّ ابن تيمية- إذا دخل الخلاء يقول لي -ابنه-:"اقرأ في هذا الكتاب وارفع صوتك حتّى أسمع" .فالقضيّة كما ذكرنا قضيّة حبٍّ وعشقٍ وليست تكلُّفًا، لا يَؤُزّ نفسه أزًّا حتّى يمارس هذه القضيّة.

- أيضًا، **ياقوت الحموي** في (إرشاد الأريب) في ترجمة **الجاحظ**، يقول: حدّث أبو هفّان قال: "لم أرَ قطّ ولا سمعت مَن أحبَّ الكُتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنّه لم يقع بيده كتابٌ قَطّ إلّا استوفى قراءته كائنًا ما كان، حتّى إنّه كان يكتري دكاكين الورّاقين ويبيت فيها للنّظر" -الورّاقون هم الّذين ينسخون الكتب-، فكان يذهب إلى الورّاق ويطلبُهُ تأجير محلِّهِ ليلةً، فيستأجر المحلّ ويجلس في المحلّ طول اللّيل يقرأ الكتب.

- **ابن خلّكان** كان أيضًا في ترجمة **الشّريف المرتضى** يقول: حكى الخطيب أبو زكريّا يحي ابن عليٍّ التّبريزيّ اللّغويّ أنّ أبا الحسن القاليّ الأدبيّ كان له نسخةٌ من كتاب الجمهرة لابن دُريدٍ في غاية الجودة، وهو كتابٌ مهمٌّ جدًّا، فدعته الحاجة إلى بيع النّسخة فباعها، واشتراها الشّريف المرتضى أبو القاسم المذكور بستّين دينارًا وتصفّحها، فوجد بها أبياتًا بخطّ بائعها، يقول:

أنِسْتُ بها عشرين حولًا وبعِتُها لقد طالَ وَجْدِي بعدَها وحَنيني
ومـــا كـــان ظَنّي أنّني سـأبيعُها ولو خَلَّدَتْني في السّجونِ دُيـوني
ولِـــكنْ لِضَعْفٍ وافتِقَارٍ وصِبْيَةٍ صِـــغَارٍ عليهم تَسْتَهِلُّ شُؤُوني

فقلتُ ولم أملكْ سوابقَ عَبْرَةٍ   مقالةَ مكويّ الفؤادِ حزينِ
وقد تُخرِجُ الحاجَاتُ يا أُمَّ مالكٍ   كرائِمَ من رَبٍّ بِهِنَّ ضَنينِ

انظروا قَدْر التّحسُّر على هذا الفقدان لهذا الكتاب ولهذه النّسخة الجميلة.

– **ابن الجهم** يقول، وهذا ذكره **الجاحظ** في كتاب (الحيوان): "إذا غشيني النّعاس في غير وقت نومٍ، وبئس الشّيء النّوم الفاضل عن الحاجة، قال: إذا اعتراني ذلك، تناولت كتابًا من كتب الحكم، فأجد اهتزازي للفوائد والأريحيّة الّتي تعتريني عند الظّفر ببعض الحاجة والّذي يغشى قلبي من سرورِ الاستبانة وعزّ التّبيين أشدّ إيقاظًا من نهيق الحمير وهدّة الهدم"، الحاصل أنّ الشّخص إذا أراد أن ينام يأخذ كتابًا حتّى يأتيه النّوم، أمّا هو فيقولُ أنّه إذا جاءه النّعاس في غير وقت نومه، يأخذ كتابًا، فمن كثرة ما يطربُ من الفوائد ويهتزّ لها جسمه؛ يشعر بالاستيقاظ أكثر من سماعه لأصوات نهيق الحمير وهدّة الهدم.

– أيضًا، **ثعلب: الإمام النّحويّ** المشهور الكبير، كان سبب وفاته أنّه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وكان قد لحقه صممٌ –بسبب الكِبَر–، لا يسمع إلّا بعد تعدّدٍ، وكان في يده كتابٌ ينظر فيه، فصدمته فرسٌ فألقته في هوّةٍ، فأُخرج منها وهو كالمختلط، فُحمل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوّه من رأسه فمات ثاني يومٍ.

– أيضًا، **الشّيخ محمد بن بدر الدّين الحسنيّ**، الشّيخ علي الطّنطاوي يقول عنه: "كان يجلس في اللّيل ليقرأ فإذا غلبه النّعاس اتّكأ برأسه على وسائدَ أُعدّت له، فأغفى ساعتين أو ثلاثًا من اللّيل متقطّعاتٍ، ومن النّهار ساعة".

هذا شيءٌ من القَصص الواردة عن محبّي العلم والقراءة والكتب الّذين كانوا يعيشون معها، ويُدركون الحياة الّتي تكون مع هذا العلم العظيم. القصص أكثر من ذلك بكثيرٍ، ولكن انتقيتُ قصصًا لأسماء مشهورةٍ معروفةٍ، حتّى تكون أقرب إلى الذّهن وأقرب للحفظ، وهذه من وسائل الحفظ: أن ترتبط المعلومة بشيءٍ له أصلٌ في الذّهن فيسهل الرّبط.

المحور الثاني: نماذج فريدة في استغلال الوقت وإدراك قيمته وملئه بالعلم والقراءة.

الإنسان الدّاخل في مجال العلم وفي مجال القراءة يجب أن يبذُل من وقته، وألّا يشعر أنّ ما يبذله من وقته هو شيءٌ ثقيلٌ أو ضائعٌ، وإنّما يشعر أنّ وقته الحقيقيّ هو ما يقدّمه في سياق القراءة والعلم والازدياد.

- **السّخاويّ** في (الجواهر والدّرر)، -له كتابٌ مفردٌ في ترجمة شيخه **ابن حجر العسقلاني**- يقول عن شيخه ابن حجر: "إنّما كانت همّته المطالعة والقراءة والسّماع، والعبادة والتّصنيف والإفادة، بحيث لم يكن يُخْلِي لحظةً من أوقاته عن شيءٍ من ذلك، حتّى في حال أكله وتوجهّه وهو سالكٌ، كما حكى لي ذلك بعض رِفقته الّذين كانوا معه، وإذا أراد الله أمرًا هيّأ أسبابه، وقد سمعته -أي ابن حجرٍ- يقول غير مرّةٍ: إنّي لأتعجّب ممّن يجلس خاليًا عن الاشتغال".

- قال **البقاعيّ** في (عنوان الزّمان): "سمعت شيخنا -أي ابن حجرٍ، يتحدّث عن نفسه- غير مرّةٍ يقول: أنّه أقام في دمشق في رحلته الشّاميّة مئة يومٍ، فسمع بها نحو ألف جزءٍ حديثيّ، لو جُلِّدت لكانت تقارب مئة مجلّد، وكَتَب فيها عشرة مجلّداتٍ، منها (أطراف المختار)".

لكن هناك شيءٌ مؤلمٌ: أين كتاب (أطراف المختار)؟ يقول الدّكتور علي العمران، وهذه القصص منتخبةٌ من كتابه الجميل الفذّ (المشوق إلى القراءة وطلب العلم)، وهو كتابٌ مهمٌّ، مررتُ عليه وانتخبت منه هذه القصص. يقول الدّكتور علي العمران: "وهذا الكتاب الّذي ألّفه الحافظ غرق مع ما غرق من كتبه الّتي بخطّه في رحلته الثّانية إلى اليمن، سنة ثمان مئةٍ وستّةٍ. وكان ممّا غرق فيها أطراف المزّيّ وأطراف مسند أحمد وأطراف المختار وترتيب مسندي عبد ابن حميد والطيالسيّ".

هذه كلّها غرقت من ابن حجرٍ في طريقه إلى اليمن بعد أن كتبها بخطّ يده. يكفيه الّذي بقي، ما شاء الله، (فتح الباري)، (لسان الميزان) و(تهذيب التّهذيب) و(تقريب التّهذيب)؛ وحدّث ما شئت...

- تعرفون **أبو الوفاء بن عقيل حنبليّ**، **ابن رجب** في (الذّيل على طبقات الحنابلة)، ذكر عن **ابن الجوزيّ** أنّه قال عنه: "كان دائم التّشاؤل بالعلم، حتّى أني رأيت بخطّه: إنّي لا يحلّ لي أن أُضيّع ساعةً من عمري، حتّى إذا تعطّل لساني عن مذاكرةٍ ومناظرةٍ، وبصري عن مطالعةٍ، أعملت فكري في حالة راحتي وأنا مستطرحٌ، فلا أنهض إلّا وقد خطر لي ما أسطّره، وإنّي لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثّمانين أشدّ ممّا كنت أجده وأنا ابن عشرين سنةٍ"، هذه هي المواظبة، الاستمراريّة.

- أيضًا، **ابن رجبٍ** نقل عن **ابن عقيلٍ** أنّه قال عن نفسه: "أنا أُقصِّر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتّى أختارُ سفّ الكعك وتَحَسِّيه بالماء على الخبز- يعني: الخبز أو الكعك المطحون؟ لا، آخذ الكعك المطحون؛ لأنّه أسرع في الأكل-؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفّرًا على مطالعةٍ أو تسطير فائدةٍ لم أدركها فيه".

طبعًا يا جماعة، مثل هذه القصص، بالنّسبة للّذي لم يعش هذا الجوّ يظنّ أنّها مبالغةٌ، وحُقَّ له أن يظنّ، ولا نستنكر على من يظنّ أنّ هذه القصص مبالغةٌ، لكن أنا واللهِ أعرف من يعيش مثل هذه الأجواء؛ يعني أذكر واحدًا من الزّملاء، كان إذا ذهب إلى الخلاء يمشي سريعًا، ولن يكون هناك فرقٌ، هي القضيّة ليست أنّ الوقت سيختلف -هذه القضيّة نفسيّة-، هو جالسٌ يقرأ ومتحمّسٌ مع الكتاب، اضطرّ إلى الذّهاب إلى الخلاء، يذهب سريعًا ويعود سريعًا، لأنّه مشتغلٌ، هذه هي القضيّة نفسها: «إنسانٌ مشتغلٌ»، ونرى أنّ الجاحظ اختصرها: "كان يُؤثِر القراءة، يُؤثِر إنفاقه على الكتب إيثار الإعرابيّ فرسه باللّبن على عياله".

نكتفي بهذه القصص، بقيت بعض النّماذج لكن نتجاوزها. ننتقل إلى المحور الأساسيّ في هذا اللّقاء، الّذي هو:

المحور الثالث: قواعد القراءة والمهارة.

وعندنا عشرون قاعدةً ومهارةً سنأخذها بإذن الله تعالى.

القاعدة الأولى، أو المهارة الأولى، أنا لن أدقّق في كلمة «قاعدةٍ» أو «مهارةٍ»؛ أنا خلطت القواعد بالمهارات. وكلاهما يمكن أن تسمّيه «قاعدةً»، ويمكن أن تسمّيه «مهارةً»؛ فسأتجاوز موضوع إطلاق الأسماء، يعني: لن أدقّق كثيرًا في الفرق بينهما.

القاعدة الأولى: قسّم قراءتك إلى خمسة مساراتٍ.

التّأصيل، التّمكين، الاطّلاع، النّوازل، التّخصّص. لا تفتح قسمًا سادسًا، كلّ ما ستقرؤه اجعله مُندرجًا ضمن أحد هذه المسارات. الكتاب الّذي تقرؤه إمّا أن يكون في مسار التّأصيل، أو يكون في مسار التّمكين، أو يكون في مسار الاطّلاع، أو يكون في مسار النّوازل، أو يكون في مسار التّخصّص.

- **التّأصيل والتّمكين ما الفرق بينهما؟**

التّأصيل هو: الخطوة الأولى في بنائك في علمٍ معيّنٍ. خذ مثلًا شخصًا لم يدرس أصول الفقه أبدًا، خطوته الأولى في تعرّفه على أصول الفقه هي التّأصيل.

أما التّمكين فهو: الخطوة الثّانية قبل التّخصّص.

إذا ضربنا مثلًا بأصول الفقه تحديدًا: الذي يُمثّل **التأصيل**: هو أن تأخذ أبسط شرح على الورقات، أو تَحضُر درس الورقات، أما **التّمكين**: فهو حين تذهب فتأخذ الشرح الذي أكبر منه على الورقات.

إذن فالقاعدة الأولى هي: قَسِّم الكتب التي تتعامل معها إلى خمسة مسارات. إذا جاءك مسارٌ سادس، سابع، ثامن، اتركهم؛ لأن هذا سيشتتك؛ فكل واحد من هذه المسارات له نظامه –سيأتينا التفصيل فيهم–، لكن أنت برمج نفسك أن الكتاب تضعه في واحد من المسارات.

- **الإطّلاع:**

– الاطّلاع له طبيعة تختلف تمامًا عن طبيعة التّمكين والتّأصيل والتّخصّص.

– الاطّلاع لا يُشترط فيه إكمال الكتاب؛ قد تكتفي فيه بالفهرس والمقدّمة وفصل مثلًا.

– ليس له أوقات محدّدة، يعني ليس له جدول بنائيّ معيّن، وغالبًا ما يرتبط بالاقتناء الجديد، وهذا سيأتينا إن شاء الله.

والله يا أخي نزلت نازلة، لنفترض مثلًا فقهيًّا: رؤية الهلال في شهر رمضان، هل يُؤخذ بالهلال أم يُؤخذ بالحساب الفلكي؟ صارت قضيّة خلافيّة ونقاش طويل عريض، لا أقول والله أنا عندي جدول قراءة ممنوع أقرأ كتاب في هذه المسألة، لا، أنا عندي خانة مسبقة لكتب النّوازل، فيكون لها نظامها وترتيبها في المجال.

التّخصّص سيأتينا أيضًا –إن شاء الله– الكلام عنه؛ فهو قضيّة مهمّة جدًّا لا بدّ أن تكون عند كلّ قارئ. لا نتكلّم عن التّخصّص الأكاديمي، نتكلم عن تخصّص القراءة.

القاعدة الثانية: قسّم الكتب إلى عدّة أنواع.

في القاعدة الأولى قسّمناها إلى مسارات، الآن هنا الكتب نفسها تُقَسّم إلى أنواع:

١. متون.

٢. كتب بنائيّة تأسيسيّة.

٣. كتب مركزيّة.

٤. كتب تكميليّة.

٥. مُطوّلات وموسوعات.

٦. مراجع.

كل واحد من هذه الأنواع له طبيعة.

- **ما هو الفرق بين الكتب المركزيّة وبين الكتب البنائيّة التأسيسيّة وبين الكتب التكميليّة؟**

حتّى تتّضح الصّورة أكثر، مثلًا أنت مهتمٌّ بالتّاريخ، وأنا أُحدّثك عن علوم الحديث، في غير مجالك وغير تخصّصك، ما الأمر الذي من المفترض أن تصل إليه من هذه القائمة؟

إذا وصلت في أيّ فنٍّ هو ليس من تخصّصك إلى الكتب المركزية، فأنت قد وصلت إلى أفضل نقطة يمكن أن يصل إليها قارئ.

دعونا من العباقرة المتفرّدين، لكن نتحدّث عن عموم القُرّاء الجيّدين: إذا وصلت إلى مرحلة الكتب المركزيّة في الفنون فأنت قد وصلت إلى أفضل نقطة يمكن أن يصل إليها قارئ متوسّع. يعني كل فنّ يمكن أن نقسّم الكتب فيه إلى درجات:

١. **درجة المتون** وما يشبهها -ليس ضروريًّا أن يكون متنًا بمعنى المتن الاصطلاحي-.

٢. ثم تأتي **الكتب البنائية التأسيسية**، التي هي غالبًا شروح للمتون.

٣. **الكتب المركزيّة.**

يعني في الحديث:

- المتون ماذا يمثّلها؟ (نخبة الفكر).
- الكتب البنائيّة التأسيسيّة يمثّلها: (النّزهة)، أو شرح النّزهة، أو شرح النّخبة.
- الكتب المركزيّة مثل: (مقدّمة ابن الصّلاح)، أو (شرح علل التّرمذيّ). عندنا (مقدّمة ابن الصلاح) اليوم جائزة.

أنت إذا أخذت هذه الطّبقات الثّلاث في علم الحديث وأنت غير متخصّص، تكون الآن قارئًا متميّزًا جدًّا، قارئًا متفنّنًا. لست مثقّفًا بالمعنى الثّقافي العام، الذي هو يأخذ من كل كعكة قطعة ولا يعرف كيف يجمعها ويرتّبها، تعرفون كثير من المثقّفين إذا تحدّث في مجالٍ لم يتمكّن منه يأتي بعجائب؛ لكن إن رتّبت الكتب بهذه الطّريقة وكان مجالك هو الحديث مثلًا، لن يكون ضروريًّا أن تصل إلى الكتب التّكميليّة في أصول الفقه.

- **ما هي الكتب التّكميليّة؟**

الكتب التّكميليّة هي: التي تُعمِّق مجال النّظر بعد أخذ القواعد المركزيّة في الفنّ، وتغطّي الجوانب الحواشي.

يعني مثلًا في علم الحديث: بعد أن نقرأ كتاب (ابن الصّلاح)، في شرح العلل نقرأ مثلًا (فتح المغيث) للسّخاويّ، نقرأ مثلًا مواضع من كتب العلل، هذه كتب تكميليّة، المفترض أنّه لا علاقة لها بغير المتخصّص.

لو كنت متخصّصًا في مجال؛ تصل إلى نهاية القائمة: متون، ثمّ كتب بنائيّة، ثمّ كتب مركزيّة، ثمّ كتب تكميليّة، ثمّ مُطوّلات وموسوعات، ثمّ المراجع تكون لديك للرّجوع، أمّا إذا لم يكن تخصّصك؛ فاكتفِ بالكتب المركزيّة، يعني الدّرجة الثّالثة من العلم أو من الفنّ.

القاعدة الثالثة: أشبع نهمك بالاطّلاع على الفهرس والمقدّمة.

إذا اقتنيت كتابًا جديدًا فأشبع نهمك بالاطّلاع على فهرسه ومقدّمته ومواضع منه، ثمّ لا يقطعك عن جدولك القرائي.

وهنا فائدة: اجعل لك دفترًا أو مجموعة تيليجرام أو واتس خاصةً بك؛ لتسجيل الفوائد العارضة، دعونا الآن من الفوائد المتخصّصة.

طبعًا تعرفون، كلّ من يحبّ الكتب إذا أتى بكتابٍ جديدٍ فكأنّه اشترى بيتًا جديدًا؛ يتنقّل ليرى تفاصيل هذا البيت، كذلك يتصفّح الكتاب وينظر في كلّ تفاصيله ومحتواه. في معرض الكتاب، قد تذهب له لأربعة أيّام فتشتري أربعين كتابًا، في هذا الوقت غالبًا يتوقّف جدول القراءة لديك، لكن حتّى لا تكون مُشَتّتًا –من الصّعب أن نقول لا تقرأ، بل اقرأ–: لا تقرأ كتابًا كاملًا من هذه الكتب الجديدة، ولا تشرع بالقراءة قراءةً ترتيبيّةً؛ وإنّما اطّلع على فصلٍ أو فصلين من الكتاب وافهمه، واعرف عمّ يتحدّث محتواه، تكون خرجت منه ببعض الفوائد وكوّنت نظرةً عنه، واجعل معك دفترًا تدوّن عليه الفوائد العارضة؛ لأنّ هذا الاطّلاع المتفرّق إذا جمّعت الفوائد التي فيه خلال خمس أو عشر سنواتٍ

ستخرج بكتابٍ يمكن أن يُطبع. (كُنَّاشَة الفوائد)، (صيد الخاطر)، (الفوائد) لابن القيّم كلّها أُلِّفت بمثل هذه الطريقة.

ابنُ الأبَّار في ترجمة **العلّامة ابن القاسم الوردي**، يَذكر عنه: أنّه كان لا يُؤتى بكتابٍ إلّا نظر أعلاه وأسفله، فإن وجد فيه فائدةً نقلها في أوراقٍ عنده؛ حتّى جمع من ذلك موضوعًا.

وذكر **الحافظ ابن حجر** في ترجمة **للإمام الزّركشيّ**، الذي ألّف كُتبًا من أهمها: (البحر المحيط)، وهو من أهمّ كتب الأصول على الإطلاق، وقد ألّفه في عمر الاثنتين وعشرين سنة. يقول عنه ابن حجر:"كان يتردّد إلى سوق الكتب، فإذا حضَرهُ أخذ يطالع في حانوت الكتب طول نهاره، ومعه ظهور أوراقٍ يعلّق فيها ما يعجبه، ثمّ يرجع فينقله إلى تصانيفه"؛ وهناك الكثير من كتب العلماء هي عبارة عن كتب فوائد، أصلها فوائدٌ متفرقةٌ جُمعت، طبعًا بعضها ككتاب (صيد الخاطر) أقرب لصيد الخاطر فعلًا، وبعضها أقرب إلى النُّقُولات كـ(كتاب الفنون) لابن عقيل، وكتبٌ كثيرةٌ جدًا غيرها.

القاعدة الرابعة: دَّوِن فوائد الكتاب المقروء في أوّله وآخره.

أيّ كتابٍ تقرؤه إيّاك أن تكون صفحاته البيضاء في أوّله وآخره بيضاء، حذار أن تتركها بيضاء؛ بحيث تعرف الكتاب في مكتبتك قرأته أم لم تقرأه من الصّفحات الأولى، ويمكن أن تضع علاماتٍ أخرى، ولكن لا يكن لديك كتابٌ قرأته إلّا وقد دوّنت فوائده في أوّله وآخره، طبعًا هذا في حالة الكتاب المقروء كاملًا، ومن المفروض ألّا يكون لديكِ كتابٌ مقروءٌ غير كاملٍ إلّا في حالة الكتاب الجديد، وهناك استثناءات أخرى قليلةٌ سنذكرها إن شاء الله.

الإمام النوويّ –رحمه الله– يقول: "لا يحتقرنّ –يُرشد الطّالب– فائدةً يراها أو يسمعها في أيّ فنٍّ كانت، بل يُبادر إلى كتابتها، ثمّ يُواظب على مطالعة ما كتبه"، ويقول أيضًا: "لا يؤخّر تحصيل فائدةٍ وإن قلّت إذا تمكّن منها، وإن أمن حصولها بعد ساعةٍ؛ لأنّ للتّأخير آفات، ولأنّه في الزّمن الثّاني يُحَصِّل غيره".

القاعدة الخامسة: إذا ابتدأت بقراءة كتابٍ فلا تتركه حتى تُتمّه.

هنا تأتي مشكلة القرّاء المعاصرين، وهي من أكبر المشاكل التي يقع فيها الشّباب الآن: مشكلة عدم إكمال الكتاب، وهذه قضيّة لا تستمرّ سنةً أو سنتين أو أكثر، بالعكس، ما دام الإنسان مع القراءة والكتب كانت هذه عادته. سمعت من الشّيخ العجيري في مكتبته –حتّى أنّه أتى بها بطريقةٍ عفويّةٍ أثناء القراءة–، كان يتكلّم عن كتابٍ أظنّه قال: "الكتاب الوحيد الذي ما استطعت أن أكمله"، وذكر عن نفسه أنه لا يستطيع أن يبدأ بكتابٍ إلّا ويتمّ قراءته؛ ولذلك أيّ قارئ متميّز يجب أن تكون عنده هذه القاعدة، لا يجب أن ينشغل ببريق الجديد، فإذا كان كلّ جديد يشدّك ويجذبك إليه فتترك الكتاب الذي بدأت به لأجله، فهذه مشكلةٌ كبيرةٌ. إذن لا تبدأ بقراءة كتاب إلّا وقد عزمت على إتمامه، ويُستثنى من ذلك الكتاب الجديد، وقلنا ما الذي تصنع بالجديد: فلا تشرع بقراءته، ولكن تُشبع النّهم والشّغف، فتقرأ فيه قليلًا وتفهمه، وتقرأ فائدتين أو ثلاثةً فتنقلها وتتركه بالمكتبة ليحين وقته وجدوله.

هل معنى ذلك إذا بدأت بقراءة كتابٍ ألّا أقرأ كتابًا آخر في نفس الوقت؟ كان عندي رفٌّ في المكتبة بالمدينة، هو رفّ الكتب الّتي أقرؤها هذه الفترة، وأنا شخصٌ مزاجيّ؛ كلما اشتهيت كتابًا منها أقرؤه حتّى أنهيها كلّها، ومهما تأخّرت؛ فالإلحاح هو أن أكمل هذه الكتب؛ لأنّها المخصّصة للقراءة هذه الفترة. لا مشكلة أن يكون لديك كتابٌ أو اثنان أو ثلاثةٌ للقراءة، فتقرأ من هذا ثمّ ترجع إلى ذاك، لا مشكلة، لكن لا تترك الكتاب دون أن تتمّه.

القاعدة السادسة: لا تقرأ الكتاب مرّةً واحدةً.

كنت أريد أن أقول اقرأ الكتاب أكثر من مرّة، ولكن صغتها بأسلوب النّهي؛ لأنّه أبلغ، أي لا تفكّر أن تقرأ الكتاب مرّةً واحدةً إلّا إذا كان:

- **جزئيًّا**: أي متعلّقًا بمسألةٍ معيّنةٍ من فنٍّ أو بقضيّةٍ معيّنةٍ، مثل جزئيّةٍ في التّاريخ. هذا الكتاب ليس ضروريًّا أن يُقرأ كلّه، طبيعته أن تفهم المسألة وتنتهي.

- **تكميليًّا**: والكتب التكميليّة هي التي تُكمّل مجالك في فنٍّ معيّنٍ. هذه قاعدة أغلبيّة وليست كليّة، أحيانًا الكتب التكميليّة تقترب من المركزيّة في أهميّتها.
- **روايةً**؛ فالرّواية لا يحبّ أن يكرّرها أحد غالبًا، حسب الرّواية.

أنا لست من قُرّاء الروايات، في مرحلة المتوسّط كنت أقرأ الرّوايات البوليسيّة المصريّة للمؤلّف أدهم صبري ونبيل فاروق، وكنت شغفًا بها جدًّا، لكن بعد المرحلة الثّانوية قرأت روايتين فقط، وتكوّن عندي شعورٌ لم أستطع أن أعبّر عنه، إلى أن وجدته في كتاب (الماجريات) لإبراهيم السّكران، فحمدت الله وعرفت أنّي لست الوحيد مع هذا الشّعور، ذكر نفس شعوري تجاه الرّوايات، قال: "كلّما حاولت أن أقرأ روايةً تذكّرت أنّها من نسج خيال المؤلّف"؛ كلما أردت التّحمّس لمعلومة تذكرت أنّها غير صحيحة فلا تتحمّس، وطبعًا هذا شعورٌ شخصيّ محض، ولكن القصد أنّ أصل الرّواية من هذا الباب أنّها صعبة القراءة؛ فهل يمكن تكرارها؟

البعض أجاب أنّه على حسب نوع الرّواية والرّاوي، وقد يكون السّبب الشّعور وعدم تكرّره كأوّل قراءة.

القاعدة السابعة: اِفهم خارطة الكتاب المعرفيّة.

خارطة موضوعات الكتاب، وأفكار الكتاب. مثلًا، (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)، هذا من الكتب المقرّرة -وجائزة-، **ماذا يريد المؤلِّف؟ أهي قصّة أم أفكار متفرّقة؟ هل هو كتاب مترابط الأطراف، مترابط الأجزاء؟** هذا السّؤال لابدّ من الإجابة عنه قبل الشّروع بالقراءة: أن تفهم بنيان الكتاب، ولا تتهاونوا في هذه النّقطة.

خطأٌ كبيرٌ جدًّا أن يأخذ المرء كتابًا من ثلاث مئة صفحة، فيقرأ عنوان الكتاب ثمّ يبدأ بقراءته، بل عليه أن يفهم قبل أن يقرأ، فيتصفّح الكتاب، ويقرأ الفهرس، خاصّةً الكتب والفهارس الحديثة، تقسّم لك الأبواب بالخطوط السّوداء العريضة وتحتها الفصول، يعني تكاد تكون الخارطة مكتوبة في الفهرس.

حاول أن تفهم من المقدّمة، خاصّةً إذا كانت رسالةً علميّةً؛ ففي المقدّمة يكتب الباحث بالتّفصيل هدفه، وماذا يريد، وخلاصة الفكرة، والخطة الدّراسية المعتمدة.

مهمٌّ أن تفهم خارطة الكتاب؛ حتّى تضع نفسك أثناء القراءة في المحلّ الصّحيح، ولا تغرق بالتّفاصيل.

- **ما الفرق بين القاعدة الثّالثة والسّابعة؟**

في الثّالثة: أنت لا تقرأ الكتاب الجديد بكامله، وإنّما فقط تشبع النّهم، فتقرأ عمّ يتحدّث الكتاب وتتناول فصلًا أو فصلين. **أمّا في القاعدة السّابعة؛** أنت ستقرأ الكتاب كاملًا، ولكن قبل البدء، افهم خارطة الكتاب المعرفيّة.

خذ مثلًا: كتاب تشكّل ظاهرة نقد الدّين، هو أصلًا اسمه (ظاهرة نقد الدّين في الفكر الغربيّ الحديث)، المتكوّن من ألفٍ وثلاثمئة صفحة:

– **الباب الأوّل:** تشكّل ظاهرة نقد الدّين.

– **الباب الثّاني:** الرّكائز التي اعتمد عليها نُقّاد الدّين في الفكر الغربي.

– **الباب الثّالث:** أبرز الانتقادات التي أثارها المفكّرون الغربيّون عن الدّين: كالوجود الإلهي والنّبوّة وتفاصيل الشّريعة وغيرها.

المجلّد الأوّل بابان، والباب الثّالث هو المجلّد الثّاني كاملًا. قبل قراءة الكتاب تصوّر الكليّات الكبرى، المؤلِّف يتحدّث عن موضوعٍ مترابطٍ:

- يتحدث في المجلّد الأوّل عن قضيّة نقد الدّين في الفكر الغربيّ: تاريخها وكيف تشكّلت. خلال التشكّل ماذا ذكر؟ الأسباب، وتفاصيل القرون وماذا حصل فيها، ثم المرتكزات، وما أبرز المرتكزات الفلسفيّة والعلميّة التي اعتمدوا عليها لنقد الدّين.
- ثمّ تتّجه للمجلّد الثّاني وفيه النّتيجة: ماذا نتج عن هذه الظّاهرة التي تكوّنت خلال القرون، والتي كانت أسبابها كذا وركائزها كذا؟ نتج عنها هذه الشّبهات الموجودة في المجلّد الثّاني.

هكذا نفهم الخارطة، وإذا لم تفهمها ستضيع بالجزئيّات، فتقرأ كتابًا وتقول لا أتذكّر منه شيئًا؛ وذلك لأنّك تناولت ألف معلومةٍ في أكثر من جزئيّةٍ متفرّقة لم تستفد منها، وهناك أسبابٌ متعدّدة نذكرها إن شاء الله.

القاعدة الثّامنة: اكتب أو ارسم الخارطة المعرفيّة للكتاب.

وتعمّدت التّفريق بينها وبين القاعدة السّابعة؛ فالسّابعة: افهم، والثّامنة: اكتب؛ بحيث لو أنّ إنسانًا تكاسل عن الكتابة فلا أقلّ من أن يفهم؛ ففرّقت بينهما حتّى نقول أنّه من الممكن أن تتّخذ هذه القاعدة ولا تتّخذ تلك، حتّى لا يقول قائلٌ: "أنا آخذ وقتًا في التّشجير لأقسّم وأجزّئ القضيّة..."، لا، ليس ضروريًّا أن تأخذ هذه الخطوة في كلّ كتابٍ وإن كانت مهمّةً.

أنت الآن بماذا تهتم أكثر شيءٍ؟ مثلًا التّاريخ القديم أي السِّيرة وعصر الصّحابة، نفترض الآن أنّ هذا مجال اهتمامك، لنَقُل خمس أو ستّ سنواتٍ وسّعتَ الدّائرة للدّولة العبّاسيّة، أنت عندك دفترٌ خاصٌّ، فحين تقرأ للجاحظ في (البيان والتّبيين) أو في (الحيوان) ستجِدُ فائدةً عن الدّولة العبّاسيّة، وحين تقرأ في تفسير ابن كثير ستجدُه يُعلّق على نقطةٍ متعلّقةٍ بحدثٍ حصل في وقتٍ من الأوقات، هذه الفوائد التي تستخرجُ من الكتب التي لا تنتمي إلى مجالِ تخصّصك واهتمامك اجعل لها دفترًا خاصًّا؛ أي أنت عندك دفترٌ –تكلّمنا عنه في إحدى القواعد– وهذا دفترٌ آخرٌ اسمه دفترُ التّخصّص. بعد خمس أو ستّ سنواتٍ يصبح لديك خمسمئة فائدةٍ في تخصّصك أخذتها من بطون الكتب، وهذه كثيرًا لا تجدُها في الفنّ نفسه، وكثيرًا ما كانت الفوائد المنقولة من فنون أخرى إلى فنّك سببًا لحلِّ إشكالات فكريّة ومعرفيّة كبرى، فاجعل لك دفترًا في تخصُّصك تنقلُ له الفوائد من كلّ المجالات الأخرى.

القاعدة التّاسعة: تكرار الكتب المركزيّة سرٌّ من أسرار التّقدّم المعرفيّ والإتقان.

الفرق بين التّاسعة والسّادسة هو أنّ التّاسعة التّركيز على الكتب المركزيّة.

ألا يلفت انتباهكم بعض الباحثين؟ تجدونهم متمكّنين، إذا تحدّث في الفقه فهو متمكّن، إذا تحدّث في الحديث فهو متمكّن، إذا تحدّث في التّاريخ فهو متمكّن، إذا تحدّث في الفلسفة فهو متمكّن.

في رأيي أنّ من أهمّ الأسرار الكتب المركزيّة؛ فالكتب المركزيّة سرٌّ –هو تشبيه–؛ لأنّ القضيّة سهلةٌ لكنّها مغفول عنها، فالنّاس تقرأ عشرين كتابًا متفرّقًا وتستمع، ولكنّ الكتب المركزيّة هي السّر.

كلّ فنٍّ من الفنون سواءً: ديني، أدبي، حتّى في الكتب الأجنبيّة، فيه كتبٌ مركزيّةٌ، الكتب المركزيّة هذه تُحدَّد بعدّة وسائل.

- **وسائل تحديد الكتب المركزية:**

الوسيلة الأولى: عن طريق سؤال المتخصّصين في نفس الفنّ، نحن نعبّر عنها بالطّريقة التّقليديّة، مثلًا: يا دكتور ما أهمّ كتابٍ في هذا المجال؟ أحيانًا تعرف الكتب المركزيّة بأنّك في قراءتك لتاريخ هذا العلم تجد أنّ الجهود تتمحور حول كتابٍ.

مثلًا: هذا الكتاب (علوم الحديث) لابن الصّلاح، لما كتبه ابن الصّلاح، تعرفون من الذي دار في فلكه؟ أنت الآن عندك كتبٌ مركزيّةٌ يشرحها شُرّاحٌ جيّدون، بعضهم مشهورون وبعضهم غير مشهورين، هذا الكتاب دار حوله الكبار، **مثلًا**:

- الإمام ابن كثير صاحب التّفسير اختصر هذا الكتاب في: (اختصار علوم الحديث)، وشرح المختصر أحمد شاكر في (الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث).
- وممّن اختصر هذا الكتاب أيضًا إضافةً إلى ابن كثير: الإمام النّوويّ في (التّقريب)، وشرحه السّيوطيّ في (تدريب الرّاوي شرح تقريب النواويّ).
- ألفيّة العراقيّ في الحديث –ألف بيت من أهمّ متون علم الحديث– هي نظمٌ لهذا الكتاب، ولم يكتفي بهذا بل عمِل حاشيةً على هذا الكتاب.
- الإمام ابن حجر عمِل حاشيةً على هذا الكتاب اسمها (النُّكَت على كتاب ابن الصّلاح).
- ابن دقيق العيد اختصر هذا الكتاب في (الاقتراح في بيان الاصطلاح)، واختصر الإمام الذّهبيّ صاحب (سير أعلام النّبلاء) مختصر ابن دقيق العيد في كتاب (الموقِظَة). (الموقِظَة) للذّهبيّ اختصار الاقتراح والاقتراح، اختصارٌ لهذا الكتاب.

إذن هذا الكتاب كتابٌ مركزيٌّ في علوم الحديث، وهكذا تجد مثلًا في: أصول الفقه الحنفيّ، الفقه الحنبليّ، الفقه الشافعيّ؛ لن تعدم في كلّ مسارٍ أن تجد كتابًا مركزيًّا تدور حوله الدّراسات.

الوسيلة الثانية: الكتاب المركزيّ أحيانًا أنت تستطيع استنباطه من خلال قراءتك، طبعًا ليس هذا وسيلةً مجرّدةً عن غيرها، بل أنت تجد توصياتٍ عن كتابٍ واهتمامًا به، ثمّ من خلال قراءتك وعلمك السّابق بهذا المجال تستطيع أن تستكشف أنّه بالفعل مركزيّ.

مثلًا: من الكتب الفكريّة التي أراها مركزيّة في هذا الوقت: كتاب (مآلات الخطاب المدني) لإبراهيم السكران، أشعر أنّه كتابٌ مركزيٌّ في حلّ مشكلاتٍ أو انحرافاتٍ فكريّةٍ كثيرةٍ، كتاب (ينبوع الغواية الفكريّة) للعجيري، أرى أنّه كتابٌ مركزيٌّ جدًّا.

هذه الكتب المركزيّة لا تظنّوا أنّها شيءٌ مبتَدَعٌ ولم يتمّ التّركيز عليه إلّا الآن؛ هناك علماء سُمّوا باسم كتابٍ؛ من شدّة اهتمامهم بكتابٍ من الكتب المركزيّة، سنأتي لاحقًا إلى الأسماء.

من الأشياء العجيبة أنّ هناك كتبًا مركزيّةً يُلازمها بعض القُرّاء لمدّة خمسين سنةً، مثلًا: ذكر **السّبكي** في (طبقات الشّافعيّة الكبرى) عن **المزني** يقول: "أنا أنظر في كتاب (الرّسالة) –للشّافعيّ– منذ خمسين سنةً، ما أعلم أنّي نظرت فيه مرّةً إلّا وأنا أستفيد شيئًا لم أكن عرفته"، كتاب (الرّسالة) للشّافعيّ هذا كتابٌ مركزيٌّ دون نقاشٍ. لما نتكلّم عن مقاصد الشّريعة مثلًا: (الموافقات). فهذه هي سُنّة أصلًا وليس شيئًا مُبتدَعًا آتي به الآن.

القاعدة العاشرة: حدّد قيمة الكتاب والمؤلِّف ولا تغترّ بالعناوين.

بعض عناوين الكتب تشعر أنّك لو قرأت الكتاب ستصير شيخ الإسلام، وهذا بالواقع من الاستثناءات: لا تقرأ الكتاب مرّةً واحدةً إلّا إذا كان: جزئيًّا، أو تكميليًّا، أو روايةً، أو غثيثًا؛ فهناك كتبٌ لا تستطيع إكمال قراءتها، أو أحيانا –وهذا تعليقٌ على قضيّة التّكرار– يمرّ الإنسان بكتابٍ صعب جدًّا، فيتكلّف ويتكلّف، فلو ما استطاع فلا إشكال أن يتركه.

وبشكلٍ عامٍّ حدّد قيمة الكتاب والمؤلِّف ولا تغترّ بالعناوين، اعتنِ بالكتب التي اعتُني بها، كتب محلّ الاهتمام. مثلًا: أنت مهتمٌّ بالسّيرة، يذكر جميع كُتّاب السّيرة والمهتمّون بالسّيرة: (سيرة ابن هشام)؛ فلا يحسُن بك كمتخصّصٍ في السّيرة أو مهتمٍّ بالسّيرة ألّا تقرأ سيرة ابن هشام. إذا جاءك كتابٌ جديدٌ في السّيرة فيه قضيّةٌ جزئيّةٌ لا تعرف ما مدى قوّة الكاتب، يمكن أن أطّلع ولكن لا يكون هذا هو محوري، لديّ كتبٌ أساسيّةٌ أبدأ بها وأجعلها محلّ اهتمام، لديّ فضلة وقت أذهب إلى غيرها.

أحيانًا تظفر بمؤلِّف ترى أنّه متمكّن ويعالج الفكرة بوضوح وقوّة؛ فهنا تُمسك بخيطٍ معيّنٍ تقرأ له في مختلف المجالات –سيأتينا قاعدة بعد قليل في قضيّة المؤلّفين–.

استفد من توصيات المتخصّصين واسألهم، هذه تابعة للقاعدة نفسها، أي: حدّد قيمة الكتاب والمؤلِّف ولا تغترّ بالعناوين؛ من وسائل ذلك أن تستفيد من توصيات المتخصّصين، وهذا كثيرٌ الآن وموجودٌ، فهناك كتبٌ في هذا المجال، وتغريدات، وأصحاب الصّفحات المعرفيّة الذين يوصون بكتب معيّنة؛ فاعتن بهذه التّوصيات لتحديد قيمة الكتاب والمؤلّف، هناك وسائل متعدّدة منها ما ذكرناه في الكتب المركزيّة.

القاعدة ١١: اعرف موقع الكتاب في قائمة العلم الذي ينتمي إليه.

اعرف موقع الكتاب وتسلسله في قائمة العلم الذي ينتمي إليه وسياقه الزّمني. هناك كتبٌ مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا بغيرها، إذا لم تفهم هذه العلاقة مع الكتب الأخرى ستكون قراءتك للكتاب ناقصةً، وقد قلنا سابقًا: افهم الخارطة المعرفيّة؛ لذلك من الجيّد أن تُضيف إليها فهم نَسَب الكتاب إن كان له نَسبٌ، هذا يجعلك أيضًا في جزءٍ من الصّورة.
مثل ما ذكرنا قبل قليل في علوم الحديث: حين تقرأ في (الموقِظة) للذّهبي، ليكن في بالك أنّه حفيدٌ لكتاب ابن الصّلاح؛ لأنّ أباه كتاب ابن دقيق العيد، والجدّ هو كتاب ابن الصّلاح.

أنت حين تدرك هذه العلاقة تفهم، حين تقرأ في (الموقِظة) تجد الذّهبي دائمًا يقول: "وقال شيخنا ابن وهب، من هو ابن وهب؟ هو ابن دقيق العيد".

وحتّى اختصار علوم الحديث، مثلًا: كتاب المعلّميّ (الأنوار الكاشفة)، تفهم ما هو الكتاب المردود عليه، وهو (أضواءٌ على السّنّة المحمّديّة) لمحمود أبو ريّة، تفهم الكتاب المردود عليه وتُدرك السّياق الزمنيّ: متى وكيف. هذا التّصوّر الزّمنيّ والنَّسَبيّ يفيد في: حسن تصوّر المعلومة واستيعابها.

القاعدة ١٢ : اقرأ جميع مؤلّفات بعض المتمكّنين، أو اجرد مؤلّفات مؤلّفٍ معيّنٍ.

وهذه قاعدة مهمّة ولها أثر معرفي كبير. ليكن من خطّتك القرائيّة –هناك وسائل لترتيب الخطة القرائيّة، مثلًا: تهتمّ بفنٍّ معيّنٍ وتريد أن تأخذ ثقافةً عامّةً بالفنون الأخرى–، ليكن من وسائل اختيارك للمقروء: أنّك تنهي قراءة كلّ كتب مؤلِّفٍ معيّنٍ، ليكن هذا في خطّتك القرائيّة، هذا مفيدٌ جدًّا، وبالطّبع يجب أن يكون مؤلِّفًا يستحقّ، فمثلًا أعرف شخصًا قرأ كلّ كتب ابن القيّم، وأحد الزّملاء وضع خطّةً لقراءة كتب ابن القيّم كاملةً في سنة واحدة.

الفائدة: أنّك تستوعب ابن القيّم وتهضمه هضمًا؛ بحيث أنّك تأخذ كلّ ما لديه من خلاصات الأفكار، كيف يستدلّ، وكيف يبني المعلومة. وهذا ليس خاصًّا بالمجال العلميّ، بل هو مهمٌّ في المجال الأدبي.

أريد أن أكتسب أسلوبًا فأقرأ ١٥رواية –عندي صراحةً تحفّظ–! بل اقرأ كلّ كتب الرّافعي وعلي الطّنطاوي وانظر كيف الأثر، لتأخذ النّفَس الأدبيّ وتتطبّع بأسلوبه، وخاصّةً لو جمعت بعض المتقدّمين وقرأت كلّ كتب الجاحظ مثلًا، جرّب، أنت تريد تنمية ملكتك الأدبيّة؟ خذ هؤلاء الثّلاثة مؤلّفين وانظر، خذ كلّ كتب الجاحظ وكل كتب الرّافعي وكلّ كتب الطّنطاوي، وهي ليست صعبةً، فكلّ هذه تُقرأ في ستّة أشهرٍ؛ كتب الجاحظ ليست كثيرةً: أربع مجلّدات: الرّسائل و(البيان والتّبيين) و(الحيوان)، مجموعهم في النّهاية عشرون مجلّدًا على الأكثر، علي الطّنطاوي كتبه صغيرة كذلك.

أيضًا أحد الزّملاء كان يخصّص يوم الأحد من أيّام الأسبوع لقراءة مؤلَّفات مؤلِّفٍ معيّنٍ، فانتهى من مؤلّفات الجويني كاملةً، وكذلك أخبرني بمجموعة مؤلِّفين من المعاصرين –أظنّ عبد الرّحمن بدوي...–،

وكان يقرأ ٣-٤ ساعات. الميزة في قراءة مؤلَّفات مؤلِّفٍ معيّنٍ: أنّ عندي برنامج قراءةٍ في أيّام الأسبوع، وأخصّص يومين من الأسبوع لبرنامج قراءة آخر.

أيضًا أحد الزّملاء خلال ثلاث سنوات أو أربع سنوات فقط في نهاية مرحلته الجامعية وبداية الماجستير، لا تصدّقون ماذا قرأ؛ أُعجبت جدًّا بهذا الانجاز الذي أنجزه من خلال نصف ساعةٍ فقط يوميًّا، نصف ساعةٍ فقط، لكن أنا أعرفه جيّدًا: إذا قال نصف ساعة لا يقول اليوم رحلة وغدًا ضيوف، نصف ساعة يعني نصف ساعة، لا أتصوّر أنّه أخلّ بها يومًا إلّا يمكن ما ندر. أتعرفون ماذا قرأ خلال نصف ساعة في ثلاث أو أربع سنوات؟ (فتح الباري) كاملًا لابن حجر، (التّمهيد) لابن عبد البرّ كاملًا، (التفسير الكبير) للرّازي كاملًا، (المفهِم) للقرطبي كاملًا، (تفسير ابن كثير) كاملًا، (تفسير القرطبي) كاملًا، خمس مجلّدات من (تفسير الطّبري). نصف ساعةٍ في اليوم! وهذا من فمه إلى أذني، سمعتها منه مباشرةً. هنا لا توجد قضيّة وقت؛ من منّا لا يستطيع أن يُوجِد نصف ساعةٍ في اليوم؟ ولكن الاستمرار! ثلاث أو أربع سنوات على هذا النّمط، نصف ساعة يعني نصف ساعة، يوميًّا يعني يوميًّا.

القاعدة ١٣: كلّما كوّنت قاعدةً معرفيّةً حول موضوعٍ ما، سَهُل عليك الازدياد فيه.

كلّما كوّنت قاعدةً معرفيّةً حول موضوعٍ ما، سَهُل عليك الازدياد فيه. فهناك من يقول: أنا قرأت في التّاريخ الحديث ولم أستطع فهم شيءٍ، أنا قرأت في تفسير القرآن، شعرت أنّي متشتّت أو وجدت صعوبةً. طبيعي جدًّا، ستجد صعوبة، ستجد تحدّيات، لكن جرّب إذا أنجزت قراءة عشرة كتب في مجالٍ واحدٍ كيف سيكون الكتاب الحادي عشر؟ سيكون سهلًا؛ فأنت كلّما قرأت في مجالٍ معيّنٍ كلّما ذهنك خزّن الأرضيّة المناسبة لتلقّي المعلومات الجديدة بسهولةٍ؛ فلا تحكم على قراءتك وتيأس من البداية أبدًا، استمر وسترى، أنت مثلًا تقرأ في الفقه، تدرس الفقه، حفظت متنًا في الفقه، أو درست متنًا في الفقه...، الخطوة الثّانية: حضرت شرحه، والخطوة الثّالثة: قرأت كتابًا في شرحه أعمق، انظر حين تقرأ في المرحلة الرّابعة -وهي الكتب التّكميليّة أو المركزيّة-: ستجد أنّ القضيّة سهلةٌ عليك، ستستمتع، تستلذّ، ستجد أنّ اللّغة قريبة وسهلة عليك.

إذن: كلّما كوّنت قاعدةً معرفيّةً حول موضوعٍ ما، سَهُل عليك الازدياد فيه.

القاعدة ١٤: اعتمد كتابًا تأسيسيّاً وانقل إلى حواشيه فوائد كتابٍ آخر في نفس الفنّ.

في مرحلتك في البناء اعتمد كتابًا في التّأسيس –متنًا أو كتابًا مدرسيًّا أو شرحًا–، وانقل إلى حواشيه فوائد كتابٍ آخر في نفس الفنّ، أو أكثر من كتاب.

مثلًا: لديك كتاب (علوم الحديث)، ولنفترض أنّك حضرت درسًا في شرح الكتاب، وتكتب في الحواشي الفوائد التي تسمعها من الشّيخ، لا تكتفِ بذلك، اذهب إلى شرحٍ آخر وانقل على نفس الكتاب –الذي نقلت عليه شرحًا معيّنًا– شرحًا آخر.

أنا جرّبتها في أصول الفقه: اعتمدت كتاب أصول الفقه لعياض السّلمي، (أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله)، نقلت عليه شرح نظم الورقات لابن عثيمين، وحضرت شرحًا للشّيخ خالد المشيقح فيه، ويوجد شرحٌ جديدٌ للشّيخ عبد الله الفوزان فيه نقلته على الكتاب، كذلك (معالم أصول الفقه عند أهل السّنّة والجماعة) للجيزاني، مواضع منه. القصد أنّه عندما تفتح –مثلًا– مبحث الإجماع، فأنت تقرأ كلام المؤلِّف ولديك في الحواشي ثلاثة نصوص لثلاثة متخصّصين آخرين في الموضوع ذاته.

ليس بالضّرورة أن يكون الموضوع الذي تنقل منه هو شرحًا لنفس الكتاب، لا، يكفي أن يكون في ذات الباب. فأنت حين تعتمد كتابًا، من المفترض بعد فترةٍ أن يذهب الحبر؛ لأنّك دائمًا تعيد النّظر فيه، فذاك صَحِب (الرّسالة) خمسين سنةً، وأنت من الممكن أن تصحب كتابًا سبع سنواتٍ أو ثمان سنواتٍ، هذا الكتاب صفحاته من المفترض أنّها ستصبح أثخن؛ من كثرة ما تنقل عليه، ومن العرق أثناء تقريب ومسك الكتاب؛ فيزداد سُمكه. أنت الآن قرأته مرّة، مرّتين، ثلاثة، المرّة الرّابعة أنقل عليه في ذات الباب كلام متخصّصٍ آخر، المرّة الخامسة أنقل كلام متخصّصٍ ثانٍ، المرّة السّادسة أنقل كلام متخصّصٍ ثالثٍ، المرّة السّابعة اقرأ كلامه وكلام المتخصّصين الآخرين؛ بهذه الطّريقة سيكون هذا الكتاب لديك مرجعًا متكاملًا، وهو من أهمّ الوسائل لتكون متمكّنًا تمكّنًا دقيقًا جدًّا من الفنّ،

وبالتّأكيد هذا ينطبق على: العلوم الاجتماعيّة و العلوم السياسيّة والعلوم الأخرى، هناك كتبٌ يمكن أن تعتمدها وتنقل إليها الجديد المتعلّق بها. هذه القاعدة الرّابعة عشرة.

القاعدة ١٥: اجعل لك دفترًا للتّخصّص أو مجال الاهتمام وانقل إليه الفوائد.

اجعل لك دفترًا للتّخصّص أو مجال الاهتمام وانقل إليه الفوائد من بطون الكتب، وستجد الثّمرة بعد سنواتٍ.

مثلًا: أنت مهتمٌّ بالتّاريخ الإسلامي، السّيرة وعصر الصّحابة، لنفترض بأنّ هذا مجال اهتمامك، ولنقل أنّك خلال خمس أو ستّ سنواتٍ وسّعت الدّائرة فيه وصولًا للدّولة العبّاسيّة، اجعل لك دفترًا خاصًّا؛ فأنت حين تقرأ للجاحظ في (البيان والتبيين) أو (الحيوان)، ستجد فائدةً عن الدّولة العبّاسيّة، وحين تقرأ في تفسير ابن كثير ستجده يُعلّق على نقطةٍ متعلّقةٍ بحدثٍ حصل في وقتٍ من الأوقات. هذه الفوائد التي تُستخرج من الكتب التي لا تنتمي إلى مجال تخصّصك و اهتمامك اجعل لها دفترًا خاصًّا، لديك دفترٌ ذكرناه سابقًا بإحدى القواعد، هذا دفترٌ آخر؛ هذا اسمه دفتر التّخصّص، بعد خمس أو ستّ سنواتٍ لديك خمسمائة فائدةٍ في تخصّصك أخذتها من بطون الكتب، هذه كثيرًا لا تجدها في الفنّ نفسه، وكثيرًا ما كانت الفوائد المنقولة من فنونٍ أخرى إلى فنّك سببًا لحلّ إشكالاتٍ فكريّةٍ ومعرفيّةٍ كبرى؛ فاجعل لك دفترًا في تخصّصك تنقل له الفوائد من كلّ المجالات الأخرى.

القاعدة ١٦: حدّد لك قدرًا من القراءة الدّوريّة.

حدِّد لك قدرًا معيّنًا من القراءة اليوميّة أو الأسبوعيّة أو الشهريّة، أو تهاونًا وتسهيلًا وتمطيطًا: الفصليّة. والأفضل ألّا تزيد عن أسبوعيّة؛ لماذا؟ الآن لدينا في برنامجنا تحديدًا قدرٌ أسبوعيٌّ، صحيح؟ كلّ أسبوعٍ مائتان وعشرون صفحةً، ما الفائدة أن تجعلَ لك قدرًا أسبوعيًّا أو يوميًّا، علمًا أنّ اليوميّ أفضل، لكن أحيانًا يكون مثاليًّا ويكون لديك مشاغل في حياتك؛ لذا دعهُ أسبوعيًّا بحيث أنّك تقسّمه بحسب جدولك، لنقل أنّ عندك أسبوعيًّا مائتان وعشرون صفحةً في هذا البرنامج، وعندك في قراءتِك الخاصّة مثلًا أيضًا مئة صفحةً، فلنقل ثلاث مئةٍ وخمسون صفحةً أسبوعيًّا؛ فاجعل لك هذه قاعدةً ونظامًا لا

تتهاون في تطبيقه، ما الفائدة؟ هل القضيّة هي مجرّد تخطيطٍ وتقسيمٍ؟ لا، بل الفائدة أنّها تجعل لك معيارًا تضبطُ عليه جدولك ومشاغلك الأخرى، مثلًا: لدينا رحلةٌ هذا الأسبوع، وأنا بقي عليّ من جدولي الأسبوعيّ مئةٌ وخمسون صفحةً، هل أستطيع إنهاءها أم لا؟ يا شباب، أعتذر فلنؤجّلِ الرِّحلة للأسبوع القادم، لدينا لقاءٌ؟ حسنًا، كم بقي لي من جدولي الأسبوعي؟... هذا يُعينك على التّرتيب، وينقذُك من هذه الكارثة، هذه الكارثة: الهاتف المحمول! هذا لا ينقذك منه –بإذن اللّٰه– إلّا التّحديد، والتّخصيص، وإلّا ستغوص؛ وبالمناسبة، الذي يقول أنّه قارئٌ جيِّدٌ وهو لم يعطِّل إشعارات الواتس وسناب شات فأنا أشكّ في كلامه.

أنا أستغرب حين أجلس مع شخصٍ يظنّ أنّه طالب علمٍ أو قارئٌ وإشعارات هاتفه لا تتوقّف! أظنّ أنّه منذ ستّ سنواتٍ لم أشغّل الإشعارات؛ ليس من المعقول أن تصلك ألف رسالةٍ ولديك ألف مجموعةٍ، حتّى وإن كان الأمر ليس لأجل القراءة، فقط لراحة الإنسان وصفاء ذهنه؛ يجب تعطيل إشعارات الهواتف. إذن بقي أربع قواعد سهلة ويسيرة وسريعة.

القاعدة ١٧: بعد قراءة كلِّ خمسةِ كتبٍ راجع كتابَين.

بعد أن تنتهي من قراءة خمسة كتبٍ راجع كتابين: انتهيت من خمسةٍ، راجع واحد واثنين –الكتابان الأوّل والثّاني–، انتهيت من الخمسة التي بعدها، راجِع ثلاثة وأربعة، الخمسة التي بعدها، راجع خمسة وستة، وهكذا. واضحة الطّريقة؟ وقد ذكرنا سابقًا أنّك تملأ الصّفحات الفارغة بالفوائد والجداول؛ فترجع للكتاب وتقرأ الفوائد على الأقلّ. ضروريّ جدًّا جدًّا أن تراجع.

القاعدة ١٨: إذا أشكل عليك شيء أثناء القراءة فلك أن تراجعه.

إذا أشكل عليك شيءٌ أثناء القراءة كمصطلحٍ، أو معلومةٍ تحتاج مراجعتها، أو مسألةٍ فقهيّةٍ أشكلت، أيًّا كان، فلك أن تراجعه إذا كان لا يقطعك، وخاصَّة إذا كان يدور حوله كلامٌ كثيرٌ في الكتاب نفسه، وإلّا فالأفضل الاستمرار في القراءة.

أنت الآن تقرأ كتابًا، تقرأ كتاب (التّأويل الحداثي للتّراث) لإبراهيم السكران: ما بعد «الفيلولوجيا»، والمستشرقون «الفيلولوجيون»، واعتمدوا «الفيولولوجيا» في كذا... ذكرها في أوّل أربعين صفحةٍ –دون مبالغةٍ– يمكن خمسَ عشرة مرّةً أو أكثر. هنا لا أقول ألّا تبحث عن المصطلح، بل البحث عنه –هو شرح المصطلح لكن بعد عدّة صفحاتٍ–، لكن أنت حين ترى أنّ هناك مصطلحًا غربيًا يتمحور حوله الكلام سيُكرّر، توقّف وافهم معناه واقرأ معنى المصطلح، أو مثلًا شخصيّةٌ يدور حولها الكلام ولم يشرح أو لم يُعرِّف بهذه الشخصيّة، يعني مثلًا أنت تقرأ في تاريخ الفكر الغربيّ ترى مثلًا شخصيةً «كانت»، تحدّث الكاتب عنه: «كانت» ذهب، «كانت» قام، «كانت» شرب، «كانت» نام، «كانت» مشى... لكنّه لم يشرح متى كان؟ في أيّ عصرٍ؟ إلى آخره؛ في هذه الحالة اذهب واقرأ عنه قليلًا.

هذا في المعلومات المتكرّرة في الكتاب، أو الّتي يتوقّف عليها فهم معلومةٍ أخرى، أمّا أن يكون لديك نفسيّة أنّه كلّما جاءك شيءٌ صعبٌ ذهبت وشرحته، فذلك لا يصلح، إذا كنت تفعل ذلك توقّف؛ فإنّك لن تنتهي إذا فعلت هذا.

القاعدة ١٩: يجب أن تعرف المراجعَ المُعتمدة في كلّ فنٍّ حتى تعود لها.

يجب أن تعرف المراجعَ المعتمدة في كلّ فنٍّ حتّى تعود إليها في المشكلات –وهذه متعلّقةٌ بالقاعدة التي قبلها–.

لو سألت أين ترجع؟ مثلًا لديك شخصيّة تاريخيّة، لو كنت تقرأ كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير الذي يتكلّم عن القرن الخامس الهجريّ، وفي هذا الكتاب تمّ التّحدّث عن شخصيّات كثيرة أثناء أحداث السّنة، وليس في الوفيّات؛ لأنّه في حديثه عن الوفيّات يُفصّل، وخلال قراءتك لفتتك شخصيّةٌ أقلقك الحديث عنها ولم تفهمها بشكلٍ كاملٍ، ففي هذه الحالة ترجع إلى (سير أعلام النّبلاء) مثلًا، (سير أعلام النّبلاء) مرجعٌ متخصّصٌ في الشّخصيات التّاريخيّة التي كانت في التّاريخ الإسلاميّ.

أمّا بالّنسبة لمعرفة المراجع المعتمدة في كلّ فنٍّ، فيُتطلّب لها دورةٌ خاصّةٌ، وهي أيضًا ليست قضيّةً صعبةً؛ فهناك كتبٌ توضّح هذه القضيّة، مثل كتاب (السّبل المرضيّة) لأحمد سالم.

فكما قلنا، يجب أن تعرف المراجع المعتمدة في الموضوع الذي تقرؤه حتّى تعود إليها في المشكلات.

القاعدة ٢٠: ليس ضروريًّا أن تفهم كلّ شيءٍ تقرؤه ولا أن تقرأ كلّ شيءٍ في الكتاب.

وهذه القاعدة لا تتعارض مع قاعدة "لا تترك الكتاب حتى تتمّه كاملًا"، فمثلًا: كتاب (سير أعلام النّبلاء) للذّهبي، يجب أن يقرأهُ كاملًا مَن كان في مسيرة طلب العلم، ولكن معنى أن يقرأه كاملًا ليس بأن يقرأ كلّ ترجمةٍ فيه -والتّرجمة عبارة عن سِيَر لكلّ شخصيّةٍ يتحدّث عنها-، وقد ذُكر في هذا الكتاب آلاف التّراجم، فهنا ليس من الضّروري أن تقرأ الكتاب كاملًا، بل يجب أن يكون لديك عقليّةٌ مرنةٌ تقبل أن تقرأ الكتاب كاملًا وأن تتجاوز بعض ما يمكن تجاوزه.

وفي بعض الأحيان تقرأ لمؤلِّفٍ يشرح مسألةً يذكر عليها خمسة عشر دليلًا، وأنت قد فهمت الموضوع من الدّليل الرّابع ورأيت أنّك اكتفيت واقتنعت تمامًا ويمكن أن تتجاوز باقي الأدلّة؛ وهذا الفعل يختلف تمامًا عن قراءة مئة صفحةٍ من الكتاب ومن ثمّ تركه، هنا أنت تقرأ الكتاب كاملًا وتفهمه جيّدًا. وأنا أرى أن هذه الطّريقة مهمّةً ومفيدةً جدًّا؛ لأنّه أثناء القراءة، ستشعر بالملل من معلوماتٍ جزئيّةٍ أو معلوماتٍ سبق شرحها؛ فتعوّد أن تتجاوز -طبعًا دون مبالغة، بحيث لا يكون المتجاوَز أكثر من المقروء-، لكن القصد من هذه القاعدة تجاوز جزئيّات، وليس قضايا مهمّة، ويجب عليك -عزيزي القارئ- أن تجعل هذه القاعدة فرعًا وليس أصلًا؛ حتّى لا يخدع الإنسان نفسه ويظنّ أنّه قرأ. ليس ضروريًّا أن تفهم كلّ شيءٍ تقرؤه؛ فأنت في عجلة قراءةٍ كبيرةٍ؛ فافهم المحطّات المركزيّة، والقضايا الكبرى، وافهم الدّلائل الأساسيّة للكتاب، واستطرد في جزئيّةٍ معيّنةٍ -ليس ضروريًّا أن تفهمها كلّها-، بمعنى حاول أن تكون استيعابيًّا أكثر من أن تكون تفصيليًّا.

المحور الرّابع: قواعد التّلخيص واختصار الكتب.

هناك ستّ قواعد في تلخيص الكتب:

القاعدة الأولى: ليس كلّ كتابٍ يُلخَّص.

فأحيانًا يتحمّس الإنسان عندما يسمع عن التّلخيص وأهمّيّة تلخيص الفوائد، فيقرأ كتابًا ويلخّص كلَّ شيءٍ فيه، لا؛ فليس كلّ كتابٍ يُلخَّص.

القاعدة الثّانية: لخّص الكتب المركزيّة أو البنائيّة المهمّة.

فمثلًا، رأيتَ أحد الكتب غطّى موضوعاتٍ مهمّةً في فنٍّ معيّنٍ فاحرص على أن تلخّصه، أو كان هناك مسألةٌ في محلّ جدلٍ كبيرٍ وتحتاج أن يكون لك فيها أصلٌ، فلنقل كمثالٍ: (إشكاليّة الإعذار بالجهل في البحث العقديّ) للدّكتور سلطان؛ مسألةٌ مُشكِلةٌ فيها نقاشٌ، ونال إعجابك الكتاب، ورأيت أنّه كافٍ ووافٍ في هذه القضيّة فلخّصه، فعوضًا عن أن يكون هذا الكتاب الذي يحتوي ما يقارب أربعمائة وخمسين صفحةً، فليكن لديك ملخّصٌ، مثلًا، خمسون صفحةً.

القاعدة الثالثّة: التّلخيص بعد التّشجير وليس قبله.

فتبدأ بتسجيل موضوعات الكتاب ثمّ تلخّص على طريقة املأ الفراغات، ويكون ملء الفراغات مثلًا: إذا بدأت بتشجير الباب الأوّل الذي يحتوي خمسة فصولٍ، فكلّ كلمةٍ كتبتها في هذا التّشجير تنقلها فيما بعد إلى دفتر التّلخيص، وتملأ الفراغات بينها من موضوعات الكتاب، **وهذا هو التّلخيص**. **وبطريقة شرحٍ أخرى**: عند رسم الخارطة المعرفيّة تقوم بتفصيل، مثلًا كتاب الباب الأوّل: تشكّل ظاهرة نقد الدّين؛ وتبدأ بكتابة الفروع، الفرع الأوّل: أسباب ظاهرة نقض الدّين؛ ثمّ الأسباب لكلّ فرعٍ: السّبب الأوّل: فساد الكنيسة، السّبب الثّاني...؛ فالآن أنت قمت برسم مشجّر كبير، بعد ذلك تأتي بخلاصة كلام المؤلّف وتسجّلها في دفترك تحت العناوين التي في الشّجرة، لكن ليس في نفس

الرّسمة؛ لأن الرّسمة لا تسع للتّلخيص، بل تأخذ العناوين وتضعها في دفترك كتابةً وتترك فراغاتٍ للتّلخيص تنقل فيها خلاصة كلام المؤلِّف تحت العناوين، وهذه أفضل طريقة لتلخيص الكتب.

القاعدة الرّابعة: التّشجير يكون بالاستعانة بعدّة أمورٍ.

التّشجير يكون بالاستعانة بعدّة أمورٍ: الفهرس، المقدّمة، التّصفّح والفهم؛ لا تكتفِ بالفهرس الذي أحيانًا تضعه الدّار النّاشرة وليس المؤلِّف، كما أنّ المؤلِّف أحيانًا لا يكتب في المقدّمة خطّةً تفصيليّةً؛ فيجب عليك أنت أن تقوم بالفهم، فلنقل مثلًا: كم نوعًا ذكر المؤلِّف ابن الصّلاح؟ ذكر خمسةً وستّين نوعًا، جيّد، هل من الممكن أن تنضم هذه الأنواع إلى بعضها أم هي متفرّقة؟ وهكذا يجب أن تجتهد في الفهم كي تستطيع التّشجير بشكلٍ جيّدٍ وواضحٍ.

القاعدة الخامسة: التّلخيص لا يتناول الاستطرادات.

قد سبق لي أن لخّصت كتاب (الإيمان الأوسط) لابن تيميّة الذي شرح فيه حديث جبريل، وكان الكتاب يتمحور حول مسائل الإيمان من النّاحية العقديّة، والجهميّة والمرجئة، وغيرها من قضايا الإيمان، وقد تحدّث ابن تيميّة عن الأسباب الموجبة لزوال الذّنوب فذكر عشرة أسباب، وكان التّساؤل: هل هي تزيل الصغائر أم الكبائر؟ مع ذكر نقاشٍ طويلٍ حول هذا الأمر، ويرجّح أنّها تزيل حتّى الكبائر؛ فهنا نرى أهمّيّة هذا الجزء من الموضوع، ولكنّه استطرادي وليس من صلب الفكرة والموضوع، ولذلك، القضايا الاستطراديّة لا تُلخَّص، نحن ذكرنا طريقة التّلخيص: نشجّر؛ والتّشجير يحتوي على العناوين الأساسيّة. ومن الممكن كتابة: ذكرَ المؤلّف أسبابًا عشرة موجبةً لرفع الذّنوب في الصّفحة رقم كذا، ووضع عناوين رئيسيّةً لها وفوائد في الحواشي؛ فنضع للاستطرادات عناوين فوائد فقط.

القاعدة السّادسة: قراءة الملخّص عدّة مرّات حتّى يثبت بالنّفس.

فالقارئ الجيّد يجعل لنفسه جدولًا للمراجعة، وأفضل مَا يراجع الملخّصات والفوائد التي كتبها. تعرفون محمد بن المكرّم؟ هو طالب علم جيّد في النّحو، مشهورٌ بـ«ابن منظور»، صاحب كتاب (لسان العرب)، لديه طريقةُ متمكّنين، قام باختصار (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، و(ذيل تاريخ بغداد)

لابن النجّار، و(تاريخ دمشق) لابن عساكر، و(الأغاني)، و(زهر الآداب)، و(الحيوان) للجاحظ، و(اليتيمة) للثعالبي، و(الذخيرة)... إلخ. هذه ميزةٌ عظيمةٌ ومهمّةٌ، فالاختصار والتّلخيص مهمّان جدًّا جدًّا.

أنت قرأت كتابًا ووجدت فيه علاجًا لستّين قضية وتجده في غاية الأهمّيّة في تخصُّصه؛ فمن الخسارة أن تقرأه مرّةً واحدةً، حتّى إذا احتجت لقراءته مرّةً أخرى فمن الجيّد أن يكون لك ملخّصٌ تستطيع الرّجوع إليه. ولا يجب أن تترك كتابًا من دون أن تكتب في مقدّمته فائدة الكتاب، وهذا الأمر يشمل كلّ الكتب دون استثناءٍ، سواءً كان تفسيرًا، عقيدةً، تاريخًا، فلسفةً، إلخ. أمّا التّلخيص لا يكون إلّا لكتبٍ معيّنةٍ تكون مركزيّةً ببابها أو تعالج مسألةً تحتاج أن يكون عندك رصيدٌ فيها بحسب القضايا والمسائل.

سؤال: هناك بعض الكتب فكريّة، أو لا تتبع مجالًا محدّدًا، مثل كتب الشّيخ محمد الغزالي، هذه الكتب لا تُلخَّص وبنفس الوقت قراءتها مهمّة، فكيف نتعامل معها؟

الإجابة: أخذنا قاعدةً هامّةً من القواعد وهي: لا تترك كتاباً تقرؤه إلّا وتكتب فوائده في أوّله، وهذا ليس فيه نقاشٌ، فكلّ الكتب دون استثناء: تفسير أو حديث أو عقيدة أو تاريخ أو فلسفة أو سياسة... إلخ، في أيّ شيءٍ تكتب الفوائد في أوّل الكتاب؛ ولا ضرورة في التّلخيص؛ لأنّ التّلخيص لا يكون إلّا لكتبٍ معيّنةٍ تكون مركزيّةً في بابها، أو تعالج مسألةً تحتاج أن يكون عندك رصيدٌ فيها بحسب القضايا والمسائل. أحيانًا قد تحتاج، بل يجب أن يكون لديك ملخّصٌ لكتابٍ في التّخصّص، وأحيانًا تستغني بالكتاب الذي قلت لكم أن تضيفوا عليه شرحًا وشرحين وثلاثةً وأربعةً، وقد تستغني به عن التّلخيص في مجال تخصّصك؛ أنا أفضّل هذه الطّريقة في التخصّص: الطّريقة التي يكون بها الكتاب الأساس متضمّنًا أربعة كتب أنت نقلتها، وتقرؤه مرّةً ومرّتين وثلاثةً، والموعد الميدان.

سؤال: كتاب (الإحياء) للإمام الغزالي اختصره ابن قدامة المقدسي في (منهاج القاصدين)؟

الإجابة: (الإحياء) كتابٌ مركزيٌّ، وتعامل معه كثيرٌ من العلماء بالتّلخيص والاختصار، وأبرز من اختصره ابن الجوزي في (منهاج القاصدين)، ثمّ جاء ابن قدامة المقدسي فاختصر المختصر في (مختصر منهاج القاصدين)، وهو من الكتب المقرّرة.

كان هذا المحور الرّابع. ولمن حضر متأخّرًا نذكر القواعد السّتّ سريعًا:

١) **القاعدة الأولى:** ليس كلّ كتابٍ يُلخَّص .

٢) **القاعدة الثّانية:** لخِّص الكتب المركزية والبنائيّة المهمّة.

٣) **القاعدة الثّالثة:** التّلخيص بعد التّشجير.

٤) **القاعدة الرّابعة:** التّشجير يكون بالاستعانة بعدّة أمور: الفهرس، والمقدّمة، التّصفّح والفهم.

٥) **القاعدة الخامسة:** التّلخيص لا يتناول الاستطرادات.

٦) **القاعدة السّادسة:** يجب قراءة التّلخيص بعد مُدّةٍ عدّة مرّاتٍ؛ كي يثبت في الذّهن.

المحور الخامس: مشكلة نسيان المقروء.

هناك خمس قواعد للتّعامل مع مشكلة النّسيان، وكما قلنا في بداية المحاضرة، لن نفرّق بين القاعدة والمهارة، وسنطلق عليها جميعًا مسمّى: «قاعدة»، ولكن عند التّحقيق فبعضها يكون مهاراتٍ أقرب من كونها قواعد.

القاعدة الأولى: أن تُدرك أنّ هذه المشكلة عامّةٌ وليست خاصّةً بك.

وهذا شيءٌ مهمٌّ جدًّا. المشكلة أنّه كلّما أسمع من يتحدّث عن هذه المشكلة، يظنّ أنّه الوحيد الذي يعاني منها.

-يا أخي لماذا لا تكمل القراءة؟

= لأنّي فقط أنسى.

- يا أخي كلّ من يقرأ ينسى.

القاعدة الثّانية: حدّد المعلومات الجديدة عليك في القراءة.

أنت تقرأ الكتاب لأوّل مرّة، أحضر معك قلمًا ملوّنًا أحمر، أخضر... وحدّد المعلومات الجديدة عليك أثناء القراءة، إمّا: بقوسٍ أو عنوانٍ أو خطٍّ أو قائمةٍ... المهمّ أن تحدّد كلّ معلومةٍ جديدةٍ عليك في القراءة.

القاعدة الثّالثة: حدّد من المُحَدَّد في القراءة الثّانية.

هناك قاعدةٌ تقول: لا تقرأ كتابًا مرّةً واحدةً؛ فعندما تقرأ الكتاب للمرّة الثّانية ستجد في الكتاب الأقواس التي حدّدتها في القراءة الأولى، عندها خذ معك قلمًا بلونٍ آخر، وحدِّد من المحدَّد الجُمل التي بقيت عليك جديدةً أو نسيتها.

القاعدة الرّابعة: اقرأ الأهمّ في القراءة الثّالثة.

هذا لا يعني أنّك لا تعيد قراءة الكتاب كاملًا، لا، **لكن القصد**: أنّك أحيانًا قد لا تجد فرصةً لقراءة الكتاب كاملًا، أو تريد أن تجعل قراءة الكتاب كاملةً –مثلًا– بعد سنةٍ؛ فلا مشكلة، لكن خلال هذه السّنة طبّق قاعدة «خمسة اثنين»، التي تنصّ على أن تقرأ خمسة كتبٍ ثمّ تراجع كتابين فتقرأ الفوائد، ويمكن بدلًا عن قراءة الفوائد، أن تقرأ المحدَّد: تتصفّح الكتاب صفحةً صفحةً وتمرّ على الأقواس الحمراء. إن لم يكن لديك وقتٌ وعندك مثلًا نصف ساعة في العصر تريد أن تشرب شايًا وتجلس لتقرأ؛ فخُذ كتابًا قرأته، أفضل من أن تأخذ كتابًا جديدًا، وخلال نصف ساعة ستمرّ على كلّ المعلومات التي كانت جديدةً عليك، وحدّدتها في القراءة الثّانية التي هي الأهمّ من المهمّ، وهذه طريقةٌ مهمّةٌ في تجاوز مشكلة النّسيان.

إذا كنت تظنّ أنّ مشكلة النّسيان ستُحَلّ بملعقة زبيب مع ماء معدني تخلطهم مع بعض وتشربهم؛ فاعلم أنك تعيش في الأوهام، فالقضيّة ليست خَلطةً، ولا أكلًا ولا شربًا. القضيّة قضيّة تكرارٍ، وتكرارٍ فقط.

أذكر كنت مرّة أحضر للشّيخ حامد بخاري درسًا في كتاب صحيح البخاري -فهو يدرّس في مدرسة تحفيظ قرآن-،كان عنده الطّلّاب يحفظون الشاطبيّة، يقول: "عنده طالبٌ عجيبٌ في الحفظ، ففي اليوم مُقرّرٌ عندهم تسميع أربعة أبياتٍ منها، وهذا الطّالب لا يخطئ، كلّ يوم يُسمّع الأربع أبياتٍ كما هي؛ فقلت: ما شاء الله، فجاء يومًا فتلكّأ وأخطأ؛ قلت له متسائلًا: خيرًا إن شاء الله؟ قال: والله يا شيخ ما استطعت مراجعة الأبيات بالأمس إلّا سبعين مرّةً؛ فاكتشفت أنّه من أسوأ النّاس حفظًا". فإذا كان كرّر سبعين مرّةً وجاء وأخطأ بالأربع أبيات؛ معنى ذلك كان يكرّرها في الأيّام العاديّة نحو مائتين أو ثلاثمائة مرّة. -أظنّه موريتانيًّا-، فهو معروفٌ عند الإخوة الموريتانيّين ثقافة تكرار المحفوظ، فقد يكرّر أربعمائة أو خمسمائة مرّة ولا مشكلة في ذلك.

يقول الشّيخ معقّبًا: "اكتشفت أنّه من أسوأ النّاس حفظًا، لكن النّتيجة والمحصّلة أنّه حافظٌ ومتقنٌ"، ليس بسبب خلطاتٍ، ولا شيء، هي تكرارٌ فقط.

القاعدة الخامسة: لخّص الكتاب المهمّ واقرأه ما لا يقلّ عن عشر مرّاتٍ خلال سنةٍ.

ذكرنا بمحور التّلخيص كلّ ما فيه، والآن نحن نتعامل مع الملخَّص الذي عمِلته لكتابٍ مهمٍّ، أي ليس كلّ الملخّصات، فقط ملخّصاتٌ لقضايا لكتبٍ مهمّةٍ جدًّا عندك، والتي يمكن أن تُحدِث عندك نقلةً معرفيّةً كبيرةً، فالملخَّص الذي سيكون أربعين صفحةً أو خمسين هو قليلٌ جدًّا، فهذا الملخَّص اقرأه خلال سنةٍ عشر مرّاتٍ. يعني أقلّ من عشر ساعاتٍ خلال سنةٍ كاملةٍ؛ لأنّ خمسون صفحة، يعني تحتاج لساعة تقريبا.

ذكرنا خمس قواعد سيكون فيها حلٌّ لمشكلة النّسيان.

المحور السّادس: مشكلة الملل من القراءة.

عندنا خمس قواعد.

القاعدة الأولى: حدّد الهدف.

فهل القراءة عندك موضة، أم حبّ استطلاع، أم لديك هدف؟ فقضيّة الهدف أهمّ قضيّةٍ لطرد الملل. لا تتوقّع أنّ الملل سيُطرد بموسيقى هادئة أو غيرها، الملل لا يُطرد إلّا بوجود هدف.

القاعدة الثّانية: نَوِّع الوسيلة.

فلو كان عندي كتاب (الطّريق إلى القرآن) أريد قراءته -وهو موجودٌ كاملًا في اليوتيوب، وكتبٌ كثيرةٌ موجودةٌ في اليوتيوب، بالمناسبة حتّى بعض المقرّرات التي عندنا الآن في البرنامج موجودةٌ في اليوتيوب كملفّات صوتيّة-، لنقل أنّي تعبت من القراءة هذا الأسبوع؛ فأحاول أن أستمع له استماعًا، وأكتب؛ قاعدة الكتابة لا أستغني عنها أبدًا. نَوِّع الوسيلة، مرّة استمع، ومرّة اقرأ، ومرّة سجّل كتابًا صوتيًّا -وهي طريقةٌ ناجحةٌ وجيّدةٌ- واحتفظ به في هاتفك، وكلّ ما مشيت في مكانٍ أو كنت في الحافلة، استمع لنفسك، كذلك التّلخيص والمشاركة، كلّها وسائل جيّدة.

القاعدة الثّالثة: شارك غيرك.

وهذه من أهمّ الوسائل، ومنها جاءت فكرة جلسات المدارسة عندنا، انظر كيف قرأ صديقك؟ كيف تنافستم؟...

القاعدة الرّابعة: أشعِر نفسك بالإنجاز.

بالنّسبة لي أتحايل على نفسي كثيرًا، تحايلًا محمودًا، كيف؟ أحيانًا لكثرة الشّغل والارتباطات... أصل لآخر اليوم ما قرأت شيئًا، عندها ينتابني شعور حسيًّا -وليس معنويًّا- بضيقٍ حقيقيٍّ، وقد تبقى يومين أو ثلاثة تشعر أنّك تكاد لا تستطيع التّنفّس؛ هنا تحتاج إلى نوعٍ من المسايسة لنفسك حتّى تجعلها تشعر بالسّعادة والإنجاز، مثلًا: هذا الكتاب (شرح حديث ما ذئبان جائعان) هذا تقرؤه عصرًا،

ولو كان لديك وقتٌ في المساء وقرأت كتيّبًا آخرًا صغيرًا مثل هذا أو أصغر منه؛ ستشعر أنّك قرأت كتابين في يومٍ واحدٍ. ممتاز الحمد لله، قرأت كتابين في بداية الوقت، قرأت كتابًا، فكرةٌ متكاملةٌ، لا ذنب لي، كتابٌ صغيرٌ أو كبيرٌ، المهمّ أنّي أقرأ؛ فهذا شيءٌ مهمٌّ وجيّدٌ نفسيًّا تشعر أنّك أنت أنجزت، ويمكن أن تنفع هذه الطّريقة حتّى المبتدئ بالقراءة إذا كان غير معتادٍ على قراءة كتب؛ فيأخذ قائمةً بها خمسة عشر كتابًا صغيرًا يقرؤها خلال أسبوع أو أسبوعين، خلال أسبوعين قرأت خمسة عشر كتابًا هذا شيءٌ عظيم!. وبالمناسبة هذا شيءٌ جيّدٌ، يعني ليس خداعًا، مثلًا: قبل أسبوع قرأت كُتيّبًا صغيرًا مثل هذا أو أصغر، لكن شخصيًّا استفدت منه والله، فكرةٌ متكاملةٌ ورائعةٌ، وهو كتاب (تاريخيّة القرآن في الفكر الحداثي العربي) للدّكتور عبد الله القرني من إصدارات تكوين، قرأته وشعرت بالإنجاز، وبالفعل، فكرة واضحة وموضوع معيّن ومهمّ، وتشعر أنّك انتهيت منه بشكلٍ جيّدٍ.

القاعدة الخامسة: اقرأ سِيَر القرّاء الشّغوفين.

مثل القصص التي ذكرتها لكم في أوّل المحاضرة، وهي قصصٌ -كما رأيتم- تبعث على التّفكير والاندفاع إلى القراءة ومراجعة النّفس. من أجمل الكتب في ذلك: (المشوّق إلى القراءة وطلب العلم) للدّكتور علي العمران، و(صفحات من صبر العلماء) للدّكتور عبد الفتّاح أبو غدّة -رحمه الله-.

أختم بالمحورين الأخيرين سريعًا.

المحور السّابع: نماذج لتكرار الكتب المركزيّة أو الكتب المهمّة.

انظروا كيف نقول اقرأ الملخَّص خلال سنةٍ عشر مرّاتٍ وهو ملخّصٌ. انظروا يا جماعة للنّماذج وسنجد فيها شيئًا عجيبًا.

- **الفقيه جمال الدّين الأُشمومي الشّافعي**، لُقِّبَ **بالوجيزي**، "الوجيزي" هذه لا هي مدينةٌ ولا هي قبيلةٌ ولا شيء، هذا كتابٌ؛ من كثرة ما يكرّر ويُدَرِّس الأُشمومي كتاب (الوجيز) -وهو كتابٌ للغزالي رحمه الله في الفقه الشّافعي- نُسِبَ إليه، وصار لقبه "الوجيزي".

- كذلك الإمام **الزّركشي**، لُقّبَ بـ"**المنهاجي**"؛ نسبةً إلى (منهاج الطّالبين) للنّوويّ من كثرة ما يكرّره ويدرّسه.

- **عبد الغافر الفارسي**، تُوفّي عام أربعمائةٍ وثمانيةٍ وأربعين هجريًّا، كان مُلازمًا لإقراء (صحيح مسلم)، فقُرئ عليه أكثر من ستّين مرةً. الحافظ الحسن السّمرقندي وحده قرأ على الفارسي صحيح مسلم نيفًا وثلاثين مرّةً. الذّهبي –رحمه الله– يُعلّق على هذه الحادثة يقول: "هذا سوى ما قرأه عليه المشاهير من الأئمّة".

- أيضًا **الحافظ الذّهبي** في (سير أعلام النّبلاء) يذكر في ترجمة **الرامَهُرْمُزّي**، وهو صاحب كتاب (المحدّث الفاصل)، وهذا الكتاب هو من أوّل ما كُتب في علوم الحديث في الأدبيّات التّقليديّة، يُقال هو أوّل ما كُتب بدون تبعيّة-. يقول الذّهبي في سير أعلام النّبلاء عن هذا الكتاب: "ما أحسنه من كتاب، قيل إنّ **السِّلفي** -الحافظ السّلفي- كان لا يكاد يفارق كمَّه"؛ يضع الكتاب في كمّه لا يكاد يفارقه كتاب (المحَدِّث الفاصل).

- أيضًا في ترجمة **أبي بكر محمد بن عبد الله الحنفي** المعروف بـ"**التّاجر**" في كتاب (الضوء اللامع)، قال تلميذه أنّه قرأ (صحيح البخاري) إلى سنة سبع مئة وثمانين خمسًا وتسعين مرّةً.

- كذلك **القاضي عِياض**، له كتاب اسمه (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك)، هذا الكتاب ثمانية أجزاء للقاضي عِياض، يقول في ترجمة أحد المالكيّة -وهو **أبو بكر الأبهري**-: قال عن نفسه: "قرأت (مختصر ابن عبد الحكم) خمسمائة مرّةٍ -في الفقه المالكي-، و(الأسديّة) خمسًا وسبعين مرّةً، و(الموطّأ)خمسًا وأربعين مرّةً، و(مختصر البَرْقِي -أو البِرقي-) سبعين مرّةً، و(المبسوط) ثلاثين مرّةً".

- في ترجمة عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمَري -أو اليعمُري-، قال عن نفسه في كتاب (درّة الحجال): "**لازمت تفسير ابن عطيّة حتّى كدت أحفظه**". هذه الفكرة التي ذكرناها مفصَّلةً في القواعد والمهارات: قضيّة تكرار الكتب هي قضيّةٌ حاضرةٌ في تاريخ القُرّاء.

المحور الثّامن والأخير: نماذج ممّن قرؤوا كتبًا كبيرةً في مدّةٍ يسيرةٍ.

- تذكرون أمس ذكرت لكم **جمال الدّين القاسميّ** من علماء الشّام، تُوفّي بداية القرن الرّابع عشر هجريّ، ألف وثلاثمائةٍ واثنين وثلاثين، يقول في كتابه (الفضل المبين): "اتّفق لي بحمده تعالى قراءة (صحيح مسلم) بتمامه روايةً في أربعين يومًا، وقراءة (سنن ابن ماجه) في واحدٍ وعشرين يومًا، وقراءة (الموطّأ) في تسعة عشر يومًا، وقراءة (تهذيب التّهذيب) مع تصحيح سهو القلم فيه وتحشيته في نحو عشرة أيّامٍ". ويُردف قائلًا: "فدع عنك أيّها اللّائم الكسل، واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل". يا جماعة، إذا أردتم أن نحسبها بالوقت والحساب فهي سهلة، في السّاعة كم صفحةً تقرأ؟ تجاوُزًا: أربعين صفحةً في السّاعة، لنقل يعني كقارئٍ، شخصٌ يريد أن يكون قارئًا فذًّا، كم ساعةً يقرأ في اليوم؟ لنفترض أنّه قرأ ساعةً ونصفًا فقط، يعني ستّون صفحةً في اليوم، وفي الشّهر ألفٌ وثمانمائة صفحةٍ، في السّنة واحدٌ وعشرون ألف صفحةٍ، أي اثنان وسبعون كتابًا في السّنة؛ وهذا إنجازٌ عظيمٌ، وممكن أكثر؛ نحن ذكرنا ذلك تجاوزًا.

- **الطّنطاوي علي** –رحمه الله–، يقول عن نفسه في القراءة والمواظبة في مقالٍ في (الذّكريات):"شغلي الدّائم المطالعة، أنا اليوم وأنا بالأمس كما كنت في الصّغر، أمضي يومي أكثره في الدّار أقرأ، وربّما مرّ عليّ يومٌ أقرأ فيه ثلاثمائة صفحةٍ، ومعدّل قراءتي مئة صفحةٍ –يوميًّا– من سنة ألف وثلاث مئة وأربعين إلى هذه السّنة، ألف وأربعمائة واثنين"، أي في اثنين وستّين سنةً، كلّ يومٍ يقرأ مئة صفحة، يقول: "احسبوا كم يومًا فيها، واضربوها بمئةٍ، تعرفوا كم صفحةً قرأت، اقرأ في كلّ موضوعٍ، حتّى في الموضوعات العلميّة". هذه هي الفكرة، فكرة تخصيص وقت وحصّة ومداومة. أنا دخلت في طريق القراءة معناه لن أقف.

عمومًا تجاوزت كثيرًا من الأشياء المهمّة والقصص، لكن المعوّل على المحور الأساسي الذي ذكرت فيه: مهارات القراءة، ثمّ قواعد التلخيص، ثمّ قواعد طرد الملل، وكذلك بعض القصص والشّواهد. وقبل ذلك وبعده، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك في هذه المادّة وأن ينفع بها وأن يجعلها تقع موقعًا حسنًا.